

## وما سواها (197)

إطلالة نفسية على الشعر !! (1)



[sadigalsamarrai@gmail.com](mailto:sadigalsamarrai@gmail.com)

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

### المقدمة:

سأقترب نفسياً وفكرياً وفلسفياً من الشعر ، فهو حاجة نفسية ضرورية للحياة ، لأنه يعبر عن خلجات الأعماق وإيقاعات نبضات الأعماق البشرية ، وأنغامه أو أوزانه لم تُبتكر ، وإنما هي إنعكاسات تعبيرية لخفقات الوجدان والروح.

وهي متوافقة مع ضربات القلب وأفياض الدماغ في اليقظة والنوم ، وقد تواسجت مع أنغام الطبيعة وألحان الوجود وترانيم الأكوان ، لتتخلق في مقطوعات تعبيرية خلابة تبتث الروح في عروق الموجودات ، خصوصاً عندما تتعانق مع الموسيقى وروائع الألحان المتصلة بجوهر الصوت الشعري وأبجديات فحواه.

وللشعر دوره في صناعة الحياة وشحن الهمم والقدرات الكفيلة بالتحدي والتوثب والرقاء ، وأمتنا يؤلقها الشعر ويبعثها من منبعها الباهي الجميل ، وكلما تعاضم الشعر وتسامق يكون صورة معبرة عن أمة تعاضمت وتسامقت بعزتها وسيادتها وكرامتها وإبداعها الأصيل.

فحال الأمة ينعكس في شعرها!!

### أولاً: الشعر والحياة!!

"الشعر مصباح أقوامٍ إذا التمسوا نور الحياة وزندُ الأمة الواري"

الشعر فن مثل الفنون الأخرى كالرسم والنحت والموسيقى والرقص والغناء وغيرها ، وجميعها تؤلف حاجات نفسية إنسانية لا يمكن الإستغناء عنها ، فقد بدأت مع أولى خطوات البشر فوق التراب ، وكأن البشر أول ما تفاعل به مع المحيط الذي تحرك فيه كان بالتناغم مع الإيقاعات المتواردة إليه من حنجرة الطبيعة المصدحة بالحياة.

وفي جميع المجتمعات البشرية هناك شعر وغناء وموسيقى ، ولا يمكن لأية لغة أن تخلو من هذه

سأقترب نفسياً وفكرياً وفلسفياً من الشعر ، فهو حاجة نفسية ضرورية للحياة ، لأنه يعبر عن خلجات الأعماق وإيقاعات نبضات الأعماق البشرية

وهي متوافقة مع ضربات القلب وأفياض الدماغ في اليقظة والنوم ، وقد تواسجت مع أنغام الطبيعة وألحان الوجود وترانيم الأكوان

للشعر دوره في صناعة الحياة وشحن الهمم والقدرات الكفيلة بالتحدي والتوثب والرقاء

الفنون, فوجود اللغة يعني وجود الشعر والموسيقى والغناء بأنواعه.

ولكي نلغي الشعر أو نعلن موته علينا أن نلغي اللغة ونعلن عن موتها.

ولا يمكن للشعر أن ينتهي إلا إذا إستغنى البشر عن اللغة وأوجد وسائل أخرى للتخاطب.

والقائلون بموت الشعر يصلون إلى هذه القناعة من خلال التعميم الخاطئ لحالات شخصية وأخرى محدودة الإقتراب , كأن يكون بيع دواوين الشعر ضعيفا , وأن كتب الشعر كاسدة , وأن الشعر بلا قرآء وما إلى غير ذلك من التفاعلات التي تؤدي إلى إستنتاجات غير رصينة , فإذا أفتعونا بموت الموسيقى والغناء البشري فعندها يمكن الإصغاء لإدعائهم بموت الشعر.

وما يحصل أنهم يغفلون التطورات العلمية والتقنية المتسارعة , التي عصفت في أروقة القرن الحادي والعشرين , والتحولات السلوكية التي رافقتها خصوصا عند الأجيال الشابة والصاعدة إلى قمم الصيرورة والإنتلاق المعرفي والإدراكي , وما توفر من معلومات متدفقة في عقول البشر , فأصبح المتلقي للشعر أكثر وعيا ومعرفة من كاتبه , مما جعل الإنتاج الشعري قاصرا ولا يتفق مع سيل الدفق المعلوماتي الجاري في أعماق العقول البشرية.

وقد أدرك الشعراء في الدول المتطورة هذه الحقيقة وابتكروا الأساليب اللازمة لإستيعاب المستجدات المعرفية وضخها في بدن القصيدة , بعكس الشعراء في المجتمعات المتأخرة والتي يعكس فيها الشاعر آليات التأخر , ويدعو في ما يكتبه إلى الجمود والإندحار في متلازمة الأغراض البالية الغير متفقة مع نبضات العصر الفوار.

ولهذا فأن الشعر في المجتمعات المتقدمة له قراءه , ولا تخلو مكتبة عامة من قراءات شعرية كل أسبوع , ونشاطات شعرية وورشات عمل لتعليم كتابته , وتشير الإحصاءات إلى أن كتب الشعر ذات مبيعات لا بأس بها , وربما جيدة برغم الميل إلى القراءات الإلكترونية.

إن المشكلة في مجتمعاتنا تتلخص في إنقطاع الصلة ما بين الشاعر والقارئ , وغياب دور المكتبات العامة في حياة المجتمع.

فالشاعر بعيد عن الواقع ويعجز عن التعبير عن هموم الإنسان وحاجاته وتطلعاته ومعارفه , لأنه يخشى المباشرة وفقدان الفنية الشعرية , مما يدفع به إلى الكتابات المبهمة والنخبوية التي لا تلقى إلا الإهمال , وإن وضعها في كتاب فإنه يحتفض به في زاوية خفية بمكان سكنه ويهديه لمعارفه وحسب. ويلوم الآخرين ولا يلوم نفسه لأنه يرتدي أزياء النرجسية البراقة , التي لا ترغب إلا بالإنبهار والإعجاب والتباهي.

أما المكتبات العامة فأن دورها معدوم وملغي تماما , فهي غير موجودة في كل قرية وناحية ومدينة كما هو الحال في الدول المتقدمة , وإن وجدت في المدينة فأن الخمول والإهمال يتمكن منها ويفقدوا دورها وتأثيرها في المجتمع.

فالعلة في الشاعر وليست في الشعر.

الشاعر الذي راح يعرف الشعر على هواه ويأتي بنظريات وأفكار , وكأنه يريد القول بأنه هو الذي اخترع الشعر وإبتكره , وبهذا يضلل نفسه ويخدع غيره ويقاقل الشعر وينكره.

الشعر فن مثل الفنون الأخرى كالرسم والنحت والموسيقى والرقص والغناء وغيرها , وجميعها تولد حاجات نفسية إنسانية لا يمكن الإستغناء عنها

كان البشر أول ما تفاعل به مع المحيط الذي تحرك فيه كان بالتناغم مع الإيقاعات المتواردة إليه من حنجرة الطبيعة المصدحة بالحياة.

ولكي نلغي الشعر أو نعلن موته علينا أن نلغي اللغة ونعلن عن موتها.

فإذا أفتعونا بموت الموسيقى والغناء البشري فعندها يمكن الإصغاء لإدعائهم بموت الشعر.

, بعكس الشعراء هي المجتمعات المتأخرة والتي يعكس فيها الشاعر آليات

إن الشعر يبقى ما بقيت اللغة والموسيقى ونفس تريد، وما بقي طير يغرد وأمواج تتناغم وبشر يخطو فوق التراب ويحمل همًّا وطموحا وتطلعا نحو غدٍ أفضل وآفاق أرحب.  
فالذي يكتب الشعر عليه أن يَعْرِفه أولا ، لا أن يتصوره ويُعرِّفه ويَدِّعِيه.  
فالشعر ديوان العرب!!

### ثانياً: هل أن الشعر نشاط سياسي؟!

كنت في حديث مع أحد الأخوة الصينيين عن الثورة الصينية ، وبعد محاورات متكررة أدركت بأنه يربط بين السياسة والشعر ، وبين الثورة والشعر ، ويرى بأن أشعار الرئيس ماو كان لها الدور الأكبر في الثورة الشعبية الصينية ، والحركة الثقافية الوهاجة التي أوجدت الصين المعاصرة.  
فكان حديثه يؤكد دائماً على أن الشعر ثورة سياسية ثقافية إجتماعية ، وأن القائد الذي يصنع الأمة لا بد أن يكون شاعراً.

تعجبت من رأيه وآليات قراءته للتفاعلات ما بين القائد والمجتمع ، ودور الشعر في الثورة والحياة

وكلما إقتربنا من واقعنا العربي يجيبني بأننا بحاجة لقادة شعراء!!

وأقول له : ما أكثر الشعراء في مجتمعا!!

ويجيب فوراً : شعراء وطن وثورة ومحبة وثقافة وتفجير للطاقات الكامنة في أعماق الناس وليس شعراء الفنتازيا ، أنتم بحاجة إلى شعراء يتحسون هموم الناس ونبضات آلامهم وأوجاعهم ، ويُطلقون الأمل والثقة والقوة والشعور بالقدرة على تحقيق المستقبل الزاهر السعيد.

ونمضي في حوارنا ، بين شرقي عربي يرى ما يرى ، وشرقي صيني رأى ما رأى وعاش ثورة أوجدته كما يقول من العدم ، فقريته الفقراء قد تحولت إلى مدينة تؤثر في حياة العالم بما تنتجه من المصنوعات الضرورية للحياة المعاصرة.

وبعد حوارنا الطويل والمتشعب ، تداعت أمامي مسيرة التأريخ العربي ودور الشعر في الحياة السياسية ، وتوافدت قصائد الشعراء وأسماؤهم منذ الجاهلية وما بعدها ، وكيف أسهموا في صناعة الرؤية السياسية الحضارية.

وتأملت خلفاء الدولتين الأموية والعباسية ، وتبين إهتمامهم بالشعر والشعراء ، وبعضهم نبغ في الشعر وتقدم ، وكان الشعر رفيق السلطة والقوة والتقدم والبلاء والنصر ، وكان لكل خليفة شاعر معروف ومقرب ومتميز في ديوانه.

وقد أكرم القادة العرب الشعراء ، وكان الشعر حاضراً ومؤثراً في مسيرة الحياة ، ورأساً للتفاعل الإجتماعي والسياسي ، وللقصيدة تأثير كبير في الحياة لأنها تحدد معالم السلوك العام.

ولدور الشعر أثر متوهج في الأندلس ، وكان بعض السلاطين شعراء بارعين فأرسوا معالم الحضارة والفن والعلم والإزدهار الخلاب.

التأخر ، ويدعو في ما يكتبه إلى الجمود والإندحار في متلازمة الأضرار البالغة الغير متفهمة مع نبضات العصر الفوار.

أما المكتبات العامة فإن دورها معدوم وملغى تماماً ، فهي غير موجودة في كل قرية وناحية ومدينة كما هو الحال في الدول المتقدمة

إن الشعر يبقى ما بقيت اللغة والموسيقى ونفس تريد، وما بقي طير يغرد وأمواج تتناغم وبشر يخطو فوق التراب ويحمل همًّا وطموحا وتطلعا نحو غدٍ أفضل وآفاق أرحب.

أنتم بحاجة إلى شعراء يتحسون هموم الناس ونبضات آلامهم وأوجاعهم ، ويُطلقون الأمل والثقة والقوة والشعور بالقدرة على تحقيق المستقبل الزاهر السعيد.

وفي الدولة العثمانية دور الشعر ساطع في العمارة المنقوش عليها أروع أبيات الشعر العربي ،  
والتي تزين آثارهم في إستنبول.

ولا زالت قصيدة البردة منقوشة في العديد من البنايات التاريخية.

وفي العصر الحديث لعب الشعراء دورا في السلطة والسياسة لكن القائد الشاعر لم يكن حاضرا.  
ومع توابك العقود والأحداث إنكمش دور الشعر في الحياة العربية ، وأصبح منزويا في الصحف  
والمواقع الإلكترونية ، وأخذ يتجه نحو التعالي عن هموم الناس وحاجاتهم المتحركة على أديم الحياة.  
صار الشعر نخبوا ونشاطا خارجا عن نهر الواقع ، ومحلقا عاليا في فضاءات الخيال والإمعان  
بالتأملية والإنفلات من قبضة الناس.

فأصبحنا نتحدث عن لوحات جمالية وصور فنية وكيف يتم رسم حالة ما بالكلمات ، وما هي إلا  
خروج عن تيار الحياة ونهر حقيقتها.

وإنفصل الشعر عن السياسة خصوصا في العقود القليلة الماضية ، وصار الشعر في وادي  
والسياسة والناس في وادي إلا ما ندر.

ويبدو أن عزل الشعر عن السياسة يؤدي إلى تداعيات سياسية كبيرة ، وإعادة التفاعل ما بين الشعر  
والسياسة ينير الدروب ، ويحقق ثورة حضارية ذات قيمة إنسانية.

وأراني أتفق مع الأخ الصيني ، على أن الشعر ثورة سياسية تصنع الحياة الأفضل للأمة ، فالقائد الشاعر  
يمتلك آليات الإبداع الحضاري الصحيح ، لأنه يرى ما وراء الأفق فيصنع قصيدة الحياة مثلما صنعها ماو!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa197-080118.pdf>

\*\*\* \*\*

## المجلة العربية " نفسانيات "

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

بوستر المجلة العربية " نفسانيات "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssaniatPubBr.pdf>

على المتجر الإلكتروني

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=24&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3)

على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Ajps/>

"الدليل" فهارس وملخصات كامل الأعداد ( تمهيدي - ر )

( الجزء الرابع )

من العدد 37-38 ( شتاء - ربيع 2013 ) الى العدد 54-55 ( خريف - شتاء 2017 )

من المتجر الإلكتروني للمؤسسة

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=241&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=241&controller=product&id_lang=3)

من الموقع العلمي للشبكة

[http://www.arabpsynet.com/apn.Daiil/APF\\_Nafssaniat\\_Index4.pdf](http://www.arabpsynet.com/apn.Daiil/APF_Nafssaniat_Index4.pdf)

توابك العقود

والأحداث إنكمش دور

الشعر في الحياة العربية ،

وأصبح منزويا في الصحف

والمواقع الإلكترونية ،

وأخذ يتجه نحو التعالي عن

هموم الناس وحاجاتهم

المتحركة على أديم الحياة.

وإنفصل الشعر عن

السياسة خصوصا في العقود

القليلة الماضية ، وصار الشعر

في وادي والسياسة والناس

في وادي إلا ما ندر.